وواضح من خلال هذه الفقرة أن روح الطفولة روح أسطورية ، وأن المازنى يتعشق اللعب ، ويراه أتم وسيلة لمعالجة العاطفة .

وقد بذل المازنى فى رواية ثلاثة رجال وامرأة كل عناء من أجل تصوير العجز عن الخبرة العاطفية . فهذا عالم ذكى ولكنه لا يقرأ شعور المرأة ، ولايعرف السبيل الى التجربة الناضجة . وهذا مفتون بذاته ، ولذلك يعجز عن رؤية الآخرين . وأنا وأنت وهو فى عقولنا خوف غامض من المرأة . وقليلا ماكانت المرأة فى أدب المازنى مثل المعاناة الفردية المستمرة ، أو التجربة التى لاتخضع ولاتذل . ويبدو أن هناك تقاربا بين رأى المازنى وفنه فى هذا المجال ، فكلاهما أدل على أن المرأة أكثر حرصا على غريزة حفظ النوع ، وأكثر احتفالا بالسكون والملازمة والمثابرة ، على حين كان الرجل أكثر تمثيلا فى حياته للفردية منه للنوعية . وكان المازنى يفيد من تصوره للمرأة وعنايتها بالنوع والأمومة ، ويجد فى ذلك متسعا لإبراز طاقاته فى تصوير ما هو «كالأطفال بالقياس إلى الكبار» . ومن خلال تعلق المرأة بالنوع أو النظام الثابت المستقر وجد المازنى المجال رحيبا لاستنبات مايهدف إليه من التعلق بالصدق والتلقائية ، وهما أحب شىء إلى الفنان المولع بروح الفرد .

ومن أهم الجوانب وأكثرها طرافة وصعوبة تبين آثار هذه الفروق فى الطبائع فى تكوين اللغة . ومن الممكن أن نلاحظ بوجه عام آثار العجز عن الصلة ، والفروق بين التلذذ باللغة والولع بالإطناب من ناحية والتطلع إلى الآخرين فى إيجاز وإيماء من ناحية أخرى . فخلق لغة جديدة كان يرتبط فى رأى المازنى بالصعوبة التى تعترض الاتصال بين الرجل والمرأة . وكان كسر الحجاب العقلى والنفسى مقدمة لكسر الحجاب الذى يكمن فى بعض مستويات اللغة الفصحى . وبعض الأساليب الفصيحة يستعمل ـ على لسان المازنى ـ تعبيرا عن الحجاب المزعوم ، وما قد يختلط به من برقعة الخوف . وربما اعتقد المازنى أن تكوين لغة حديثة يرتبط بالتغلب على العزلة والخوف والعكوف على الذات .

والآن لنترك هذا المنحنى الصعب ، ولنتأمل فى جوانب هذا الخوف ، فالسمة الظاهرية لأدب المازنى لاتغرينا بالاتجاه إليها . ولكن من حقنا أن نعرف أبعاد البسمات (الطيبة) التى تشع فى قلوبنا حين نقرأ المازنى . وسوف نرى إذا كنا مولعين ببذل الجهد ـ أن المازنى صور آثار الخوف فى تكوين عواطفنا الأساسية ، فيما نسميه محبة ، وخطأ ، وموتا ، وفى تكوين أساليب لغتنا .